قرآنيكا، مجلة عالمية لبحوث القرآن
عدد خاص (10)، أكتوبر 2023م. ص 1-24

© 2023 مركز بحوث القرآن
جامعة ملايا، ماليزيا

الحبل والسبب في القرآن الكريم: دراسة دلالية (*)

عبد اللـــه أحمد علي المشجري،[1] نايل أبو زيد[2]

("Al-Ḥabl" and "Reason" in the Holy Quran: A Semantic Study)

Abdullah Ahmed Ali AlMashgari, Nail Abu Zayd

ABSTRACT

The study aimed to highlight the linguistic and idiomatic meanings of Al-Habl and Reason terms, and to know their significance and interpretation according to their occurrence in the verses of the Qur'an. In order to know the difference between them explicitly or implicitly. This is what made some researchers not differentiate between Quranic synonyms because of their weakness in understanding the rules of Arabic grammar, and the semantics of words. Even the resources of words were canceled from consideration in interpretation. Consequently, the researcher relied on the analytical inductive approach by following the Quranic verses. In order to know the aspects of their significance, whether explicitly or implicitly. and gives a meaning to the extension of the thing, covenant and security, continuity, or communication. two terms correspond to the definition idiomatically. The interpreters' sayings of the two terms Al-Ḥabl and Reason did not differ from the linguistic meanings, but the aspects of significance for each word, whether it was mentioned singularly or plurally. Reason relates to

(*) This article was submitted on: 16/05/2023 and accepted for publication on: 02/10/2023.

[1] قسم: أصول الدين، كلية: الشريعة والدراسات الإسلاميـــة، دولة الإمارات العربية المتحدة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي جامعة الشارقة

Department of Fundamentals of Religion, College of Sharia and Islamic Studies, University of Sharjah, United Arab Emirates.
Email: mashjari1989@gmail.com

[2] قسم: أصول الدين، كلية: الشريعة والدراسات الإسلاميـــة، دولة الإمارات العربية المتحدة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي جامعة الشارقة

Department of Fundamentals of Religion, College of Sharia and Islamic Studies, University of Sharjah, United Arab Emirates.
Email: nabuzaid@sharjah.ac.ae

meanings in the Qur'an that were not mentioned in Al-Ḥabl, such as kinship and affection, or the way or a means of governance. Al-Ḥabl is mentioned in the Qur'an for some meanings that are not called Reason, such as God's religion, and the jugular vein.

Keywords: *Al-Ḥabl, Reason, Holy Quran, Study, Semantic.*

ملخص

هدف البحث إلى إبراز معاني لفظتي الحبل والسبب، ومعرفة دلالتهما وتفسيرهما بحسب ورودهما في آيات القرآن؛ بغية معرفة الفرق بينهما صراحة أو ضمناً، حيث لم يفرق بعض الباحثين بين مترادفات القرآن بسبب ضعف مدركات قواعد النحو من جهةٍ ودلالات الألفاظ من جهة أخرى؛ حتى ألغوا اعتبار مواردها في التفسير والتأويل. اعتمد الباحث على المنهج الاستقرائي التحليلي. توصل الباحث بأن الحبل يطلق حساً على الحبل المعروف، وحبل العاتق، ويطلق معنىً على امتداد الشيء، العهد والأمان، المواصلة أو التواصل. ويطلق السبب على الحبل، وكل ما يربط بين شيئين. يتوافق اللفظان في التعريف الإصطلاحي؛ إذ عرفا بكلِّ شيءٍ يتوصل به إلى غيره. ورد لفظ الحبل في القرآن الكريم مفرداً وجمعاً في ستة مواضع، والسبب في تسعة مواضع. لم تختلف أقوال المفسرين فيهما عن المعاني اللغوية، إلا أن أوجه دلالتهما تختلف على حسب سياق الآيات. يتعلق السبب بمعانٍ في القرآن لم تُذكر في الحبل؛ كالقرابة والمودة، أو الطريق أو وسيلة للحكم، ويختلف السبب في بعض المعاني كدين الله، والشريان الذي في العنق.

كلمات دالَّة: الحبل، السبب، القرآن الكريم، دراسة، دلالية.

1. مقدمة

الحمدلله الذي ربط المسلمين بحبله وأوصلهم بأسبابه، وصلى الله على سيدنا محمد سيد

أهل القرب، من تمسك بحبال الوصل به فكان سبباً في عالمية رسالته ورحمته بأمته.

لو كان القرآن كلام بشر لما رأينا أوجه اتفاق وافتراق بين معاني الألفاظ المترادفة، ولما كان ورودها في سياقات مختلفة ذات معنى دلالي ومغزىً رباني، إذ أن الله لم يسق كلمة وإن تعددت شكلاً ومبنىً في آيات مختلفة ومتعددة إلا للتأمل والتدبر، وبهما لا بغيرهما نجد آفاقاً رحبة للقراءة صالحة معانيها لكل زمان ومكان، ومن ثم فإن المتأمل بعين عقله أن كلمات القرآن لم تخرج عن المألوف استعمالاً عند العرب، غير أن لكل لفظة منه كياناً خاصاً بها، ومعنى استقلالياً لذاتها؛ ولو لم ترد في مكانها المناسب من الآية لما أدت المعنى المقصود، ولما كانت متلائمة مع ما قبلها وما بعدها من الكلمات وسياق الآيات.

إن لكل كلمة وردت في القرآن الكريم قيمة عظيمة، وأهمية كبرى، واختيار المفردات في القرآن الكريم من أسرار إعجازه، ومن عجائبه التي لا تنفد؛ لذلك لا تجد في القرآن الكريم كلمة إلا ولها وجهها الدلالي ومعناها البياني، ولها أثر بالغ في توجيه المعاني التفسيرية لآيات القرآن الكريم.

ومن هذا المنطلق فإني آمل أن أنهل من هذا المنهل العذب الشيء القليل، فاخترت أن أبحث عن مفهوم " الحبل والسبب في القرآن الكريم دراسة دلالية" رغبةً في الغوص في معاني ألفاظ القرآن الكريم، ولبيان المعاني التي تحويها كلمة الحبل والسبب في اللغة والقرآن الكريم قصداً في إظهار بعض وجوه الإعجاز البياني في القرآن الكريم، وبيان ترابط المعاني في كلام الله عز وجل وحسن اختيار الألفاظ على حسب السياق الوارد فيها على أعلى أوجه البلاغة والفصاحة، ودفع شبهات الطاعنين في كتاب الله عز وجل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

ومما ينبغي على المسلم معرفته أن ترادف الألفاظ العربية لا يعني بالضرورة اتفاقهما تفسيراً ومعنى؛ إذ أن للسياق دوراً في توجيه المعاني، وللمقاصد والغايات مرامز وأهداف في سوق الألفاظ وتركيب الجمل؛ ومن ثمَّ لا تغني كلمةٌ عن كلمةٍ في القرآن الكريم؛ مما

يعني لو أننا جمعنا كل المترادفات وقمنا بوضع هذه مكان هذه فلن نجد لذلك في القرآن طريقاً ولا سبباً، بل إنه من المحال؛ مما يعني أنَّ أوجه الدلالات تختلف باختلاف مكان الكلمة وإن تساوت حركة وحرفاً، وقد رأيت بعض الرسالات العلمية وخاصةً في مساق الماجستير لا تتنبه لهذا؛ ولعل ذلك بسبب ضعف مدركات قواعد النحو من جهةٍ ودلالات الألفاظ من جهة أخرى؛ حتى ألغيت موارد الألفاظ من اعتبارها في التفسير والتأويل؛ وهذا ما سنراه في ثنايا مباحث ومطالب الدراسة الحالية، حيث سيقوم الباحث بتدوين موارد لفظتي الحبل والسبب في القرآن الكريم، وأقوال المفسرين فيها، ومعانيها الدلالية في كل آية، وبيان أوجه الاتفاق والاختلاف بين الحبل والسبب. مع العلم أنَّ هناك مجموعةً من البحوث العلمية التي تطرقت للسبب أو الحبل أو لهما معاً وأهم هذه الدراسات **دراسة محمد نبهان إبراهيم رحيم الهيتي، الآيات القرآنية المتعلقة بالأخذ بالأسباب ومنهجها في التعامل مع الأوبئة، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، 2022،** حيث تطرقت لتعريف الأوبئة والأسباب، وكيفية التعامل مع الأوبئة من خلال الآيات القرآنية. ودراسة **رحاب رفعت فوزي، القدرة الإلهية والأسباب، مجلة اللغة العربية وآدابها، كلية البنات، جامعة عين شمس، 2020.** حيث تضمن البحث علاقة الأسباب بالمسببات، الحكمة من الأخذ بالأسباب، القدرة الإلهية والأسباب في قصتي زكريا عليه السلام، ومريم عليها السلام. ودراسة **عائشة بنت محمد بن مبخوت، الحبال في ضوء القرآن الكريم، دراسة موضوعية، مجلة كلية التربية بالمزاحمية، جامعة شقراء، 1442هـ.** تطرق لمفهوم الحبال في اللغة ونظائره، أنواع الحبال في القرآن، وبيَّن أنَّ الحبل يطلق على عدة معاني حسية ومعنوية، وبناءً عليه اختلف المفسرون فيها. وأوصى الباحثين في التوسع في قراءة معاني الحبال وتضمينها في المقررات الدراسية. وبحسب اطلاع الباحث أنَّه لم يجد دراسة تبين الفوراق الجوهرية وأوجه الدلالات بين الحبل والسبب في الآيات القرآنية التي تضمنت هذين اللفظين. وقد سلك الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك بتتبع الآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ الحبل والسبب،

مع التحليل التدقيق حسب سياق المعنى لهما ومواردهما؛ بغية المعرفة الدلالية صراحة أو ضمناً لكل لفظ على حدة.

2. مفهوم الحبل والسبب

سيدون الباحث في هذه المبحث تعريف الحبل والسبب لغة واصطلاحاً.

1.2 معنى الحبل

نستعرض كلام أهل اللغة في معنى الحبل، والمعاني التي يمكن حصرها فيما اشتمل عليها المبنى الحرفي للكلمة.

قال ابن فارس رحمه الله: "الْحَاءُ وَالْبَاءُ وَاللَّامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى **امْتِدَادِ الشَّيْءِ**. ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَيْهِ، وَمَرْجِعُ الْفُرُوعِ مُرْجِعٌ وَاحِدٌ. وللحبل معانٍ كثيرة، منها الرَّسَنُ، مَعْرُوفٌ، وَالْجَمْعُ حِبَالٌ، وَالْحَبْلُ: حَبِلُ الْعَاتِقِ. وَالْحَبْلُ: الْقِطْعَةُ مِنَ الرَّمْلِ يَسْتَطِيلُ.. وَالْمَحْمُولُ عَلَيْهِ الْحَبْلُ، وَهُوَ الْعَهْدُ، وَمِنَ الْبَابِ **الْحَبَلُ**، وَهُوَ الْحَمْلُ، وَذَلِكَ أَنِ الْأَيَّامَ تَمْتَدُّ بِهِ [3]، ويأتي الحبل بمعنى الأمان، قال الأزهري رحمه الله: "وأصْل الحَبْلِ فِي كلامِ العربِ يتصرَّف على وجوهٍ، مِنْهَا العَهْدُ وَهُوَ الأَمَانُ، معللاً ذلك بأنَّ العربَ كانَتْ يُخِيفُ بعضُها بَعْضًا فِي الْجَاهِلِيَّة، فإذا أراد الرجل سَفَراً أَخذ عهْداً من سيد الْقَبِيلَة، فيأمنُ بِهِ مَا دَامَ فِي تِلْكَ الْقَبِيلَة حَتَّى يَنْتَهِي إِلَى الْأُخْرَى. ويأتي بمعنى المواصَلَةُ، ويأتي الحبل بمعنى الرَّمْلِ المجْتَمِعُ الكَثِيرُ العَالِي، والحَبْلُ حَبْلُ العاتق، والحَبْلُ الوَحِدُ مِنَ الْحِبَالِ. وَهَذَا كلُّهُ بفَتْحِ الحاءِ". [4]

فيستنتج مما سبق من كلام أهل اللغة أن الحبل له عدة معاني، ويمكن تقسيمها

---

[3] Ibn Fāris, Abū Al-Ḥusayn Aḥmad bin Fāris (1979). *Mu'jam Maqāyīs Al-Lughah* ('Abd Al-Salām Muḥammad Harūn, Ed.). (Vol. 2). Ṭab'ah Dār Al-Fikr, pp. 130-132.

[4] Al-Azharī, Abū Manṣūr Muḥammad bin Aḥmad (2001). *Tahdhīb Al-Lughah* (Muḥammad 'Awḍ Mur'ab, Ed.). (Vol. 5). Ṭab'ah Dār Iḥyā' Al-Turāth Al-'Arabī, p. 51.

إلى قسمين:

القسم الأول: معنى حسي

1- وهو الحبل المعروف أو الرسن.

2- حبل العاتق.

القسم الثاني: معنى معنوي

1- امتداد الشيء.

2- العهد والأمان.

3- المواصلة أو التواصل.

قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: "الحَبْلُ معروف، ثم استدلَّ بقوله تعالى: ﴿فى جيدها حبلٌ من مسد﴾[5]، وشبّه به من حيث الهيئة حبل الوريد وحبل العاتق، والحبل: المستطيل من الرّمل، واستعير للوصل، ولكلّ ما يتوصّل به إلى شيء. ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا...﴾[6] ، فحبله هو الذي معه التوصل به إليه من القرآن والعقل، وغير ذلك ممّا إذا اعتصمت به أدّاك إلى جواره، ويقال للعهد حبل: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾[7]، ففيه تنبيه أنّ الكافر يحتاج إلى عهدين:

1- عهد من الله، وهو أن يكون من أهل كتاب أنزله الله تعالى، وإلّا لم يقرّ على دينه، ولم يجعل له ذمّة.

2- وإلى عهد من الناس يبذلونه له. [8]

---

5 Sūrah Al-Masad: 5.

6 Sūrah Āli ʻImrān: 103.

7 Sūrah Āli ʻImrān: 112.

8 Al-Rāghib Al-Aṣfahānī, Abū Al-Qāsim Al-Ḥusayn bin Muḥammad (1991). *Al-Mufradāt fī Gharīb Al-Qur'ān* (Ṣafwān ʻAdnān Al-Ḍāwadī, Ed.). Ṭabʻah Dār Al-Qalam, p. 217.

يتبين من كلام الراغب الأصفهاني رحمه الله أن المعنى الاصطلاحي للحبل لا يختلف كثيراً عن المعنى اللغوي، فيشمل الحبل هنا الحسي والمعنوي.

2.2 معنى السبب

يطلق السبب في اللغة على عدة معانٍ، نستعرض هذه المعاني، ثم نستخرج منها المعاني المشتركة:

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي –رحمه الله–: "السَّبَبُ: الحَبْل. والسَّبَبُ: كُلُّ ما تَسَبَّبْتَ به من رَحِمٍ أو يَدٍ أو دَيْنٍ. والإسلامُ أقوى سَبَبٍ ونَسَبٍ؛ لأنَّ المسلمَ إذا تَقَرَّبَ الى أخيه المُسْلِم ليس بينهما نَسَبٌ. ويقال للرجل الفاضل في الدِّين: ارتَقَى فلانٌ في الأسباب، قال اللهُ– عزَّ وجلَّ–: فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبابِ، معنى إن كانوا يقدِرون أن يصِلوا بالسماء أسباباً فيَرْتَقُوا اليها فَلْيَفعَلوا "[9].

يجد الباحث بأنَّ الخليل بن أحمد الفراهيدي ذكر من معاني السبب الحبل، بل وذكره بمعنييه الحسِّي والمعنوي. ولم تخرج المعاني التي ذكرها الجوهري عن معاني الفراهيدي، حيث قال: "السبب: الحَبْلُ. والسبب: كلُّ شيءٍ يتوصل به إلى غيره. والسَبَبُ اعْتِلاقُ قَرابَةٍ. وأسبابُ السماءِ: نواحيها، وأَسبابُ الرقي إلى السَماءِ السُّلم". [10] ويرى الباحث أنه –رحمه الله– أضاف معنى كلياً ترجع إليه بقية المعاني حيث قال: "كل شيء يتوصل به إلى غيره " وزاد من معاني السبب الناحية، والسلَّم الذي يتوصل به إلى السماء.

قال ابن الأثير رحمه الله: أن الأصل في السببَ هُوَ الحَبْل الَّذِي يُتوصَّل بِهِ إِلَى الماءِ،

---

9 Al-Farāhīdī, Abū ʻAbd Al-Raḥmān Al-Khalīl bin Aḥmad (n.d.). *Al-ʻAyn* (Mahdī Al-Makhzūmī & Ibrāhīm Al-Sāmarāʾī, Eds.). (Vol. 7). Ṭabʻah Dār wa Maktabah Al-Ḥilāl, pp. 203-204.

10 Al-Jawharī, Abū Naṣr Ismāʻīl bin Ḥammād (1987). *Al-Ṣiḥāḥ Tāj Al-Lughah wa Ṣiḥāḥ Al-ʻArabiyyah* (Aḥmad ʻAbd Al-Ghafūr ʻAṭār, Ed.). (Vol. 1). Ṭabʻah Dār Al-ʻIlm li Al-Malāyīn, p. 145.

ثُمَّ استُعِير لكلِّ مَا يُتَوصَّل بِهِ إِلَى شيء، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبابُ﴾ أَيِ الوُصّل والمودَّاتُ"[11].

يجد الباحث بأنَّ ابن الأثير رحمه الله بيّن أن المعنى الأصلي لكلمة السبب هو الحبل، والمعاني الأخرى التي تضمنتها المعاجم اللغوية مستعارة من النظر إلى كون ما يُتوصل به إلى غيره يسمى سبباً.

وخلاصة هذه النقولات أن كلمة سبب لا تخرج عن المعاني التالية:

1- الحَبْل.

2- كُلُّ ما تَسَبَّبْتَ به من رَحِمٍ أو يَدٍ أو دَيْنٍ.

3- كلُّ شيء يتوصل به إلى غيره.

4- اعْتِلاقُ قَرابَةٍ.

5- الناحية.

6- الوُصّل والمودَّاتُ.

7- طُرُق السَّماء وأبْوابها.

وعرف السبب في الاصطلاح بأنَّه "كل وصف ظاهر منضبط دلّ الدليل على كونه معرفا لإثبات حكم بحيث يلزم من وجوده الوجود ومن عدمه العدم، ويمتنع وجود الحكم بدونه"[12]. وخشية من الإطالة في التعريفات الاصطلاحية ينوه الباحث بأن الاستخدام الشرعي للسبب لا يختلف كثيراً عن المعاني اللغوية، بل عبارات أهل التفسير لكلمة سبب في القرآن الكريم في غاية القرب في المعنى من المعاني اللغوية، وأن أغلب المعاني ترجع إلى كل ما يتوصل به إلى غيره.

وستأتي المعاني التفصيلية في الآيات الواردة في هذا الباب من كلام أئمة التفسير

---

11 Ibn Al-Athīr, Abū Al-Sa'adāt Al-Mubārak bin Muḥammad (1979). *Al-Nihāyah fī Gharīb Al-Ḥadīth wa Al-Athar* (Ṭāhir Aḥmad Al-Rāzī & Maḥmūd Muḥammad Al-Ṭanāḥī, Eds.). (Vol. 2). Al-Maktabah al-'Ilmiyyah, p. 329.

12 Al-Aḥkām (Vol. 1), p. 172 and Kashf Al-Asrār (Vol. 4), p. 284-285.

رحمهم الله تعالى.

3. موارد " الحبل والسبب" في القرآن الكريم

سيدون الباحث في هذا المبحث موارد الحبل والسبب في القرآن الكريم بلفظ الإفراد والجمع، وهي كالتالي:

1.3 مواضع الحبل في القرآن الكريم

وردت كلمة " حبل " في القرآن الكريم في ستة مواضع[13]، وأتت بصيغتين:

أولاً: صيغة الإفراد

وقد ذكرت في ثلاث سور، يشير لها الباحث في الآتي:

السورة الأولى: آل عمران، حيث وردت في آيتين، **الآية الأولى:** ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقواَ﴾[14]. **والآية الثانية:** ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[15].

السورة الثانية: سورة ق، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[16].

السورة الثالثة: في سورة المسد، قال تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾[17].

ثانياً: صيغ لجمع

---

13 Muḥammad Fu'ād 'Abd Al-Bāqī (1945). *Al-Mu'jam Al-Muhafras li Al-Fāẓ Al-Qur'ān Al-Karīm*. Ṭab'ah Dār Al-Ḥadīth, p. 193.

14 Sūrah Āli 'Imrān: 103.

15 Sūrah Āli 'Imrān: 112.

16 Sūrah Qāf: 16.

17 Sūrah Al-Masad: 5.

وقد ذكر في سورتين:

السورة الأولى: سورة طه، قال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾[18].

السورة الثانية: سورة الشعراء، قال تعالى: ﴿فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾[19].

2.3 موارد السبب في القرآن الكريم

ورد لفظ السبب في القرآن الكريم في تسعة مواضع[20]، وقد جاء على صيغتين، وهي كالتالي:

أولاً: بصيغة الإفراد

وقد ذكر في سورتين:

السورة الأولى: سور الكهف، وقد في أربعة مواضع[21]: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾.

السورة الثانية: سورة الحج، ذكر في موضع واحد، ﴿من كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾[22].

ثانياً: بصيغة الجمع

وقد ذكر في ثلاث سور:

السورة الأولى: سورة البقرة، ذكر في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ

18 Sūrah Ṭahā: 66

19 Sūrah Al-Shuʿarā': 44.

20 Muḥammad Fu'ād ʿAbd Al-Bāqī (1945), p. 338.

21 Sūrah Al-Kahf: 84, 85, 89 & 92

22 Sūrah Al-Ḥajj: 15.

اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾[23].

السورة الثانية: سورة ص، ذكر في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾[24].

السورة الثالثة: سورة غافر، ذكر في موضعين منها، ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾[25].

3.3 كلام المفسرين في الآيات الواردة في "الحبل" و"السبب"

سيدون الباحث في هذا المبحث أقوال المفسرين في لفظي الحبل والسبب في الآيات السابقة، وقد قسم الباحث هذا المبحث إلى مطلبين، وهما كالتالي:

أولاً: كلام المفسرين في آيات الحبل

الآية الأولى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقواَ﴾[26]. قال الطبري – رحمه الله–: الحبل هو السبب الذي يوصَل به إلى البُغية والحاجة، ولذلك سمي الأمان"حبلا"، لأنه سبب يُوصَل به إلى زوال الخوف، والنجاة من الجزَع والذّعر ... ومنه قول الله عز وجل: {إِلا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ} ". وذكر أقوال لغيره لمعاني الحبل في الآية الكريمة، حيث أشار بأنه بمعنى تمسَّكوا بدين الله الذي أمركم به، وعهده الذي عَهده إليكم في كتابه إليكم، من الألفة والاجتماع على كلمة الحق، والتسليم لأمر الله، وقال آخرون: عنى بذلك القرآنَ والعهدَ الذي عَهِدَ فيه، وقال آخرون: بل ذلك هو إخلاص

---

23 Sūrah Al-Baqarah: 166

24 Sūrah Ṣād: 10.

25 Sūrah Ghāfir: 36-37.

26 Sūrah Āli ʻImrān: 103.

التوحيد لله[27]. وقال الماوردي رحمه الله بعد ذكره للخلاف في معنى الحبل الوادر في الآية: "وَسُمِّيَ ذَلِكَ حَبْلًا لِأَنَّ المُمْسِكَ بِهِ يَنْجُو مِثْلَ المُتَمَسِّكِ بِالحَبْلِ يَنْجُو مِن بِئْرٍ أَوْ غَيْرِها"[28].

فالماوردي رحمه الله بيّن وجه الارتباط بين المعاني الشرعية في الآية مع المعنى اللغوي للحبل.

الوجه الدلالي لمعنى الحبل في سياق الآية هو أن التفرق ضد الوحدة والاجتماع، ولن يكون للمسلمين عز ونصر وتمكين إلا إذا تمسكوا بوحدة صفهم واجتماع كلمتهم؛ ومن ثم فليس هنا من كلمة في اللغة تعطي شدة التمسك بالشيء وعدم تركه أو التخلي عنه كمثل ربط الشيء بحبل؛ إذ لا يمكن الانفكاك عنه بالسهولة أو اليسر.

الآية الثاني: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾، المقصود بالحبل في هذا الموضع من الله أي السبب الذي يأمنون به على أنفسهم من المؤمنين، وعلى أموالهم وذراريهم من عهد وأمان تقدم لهم عقده قبل أن يُثْقَفوا في بلاد الإسلام"[29].

والوجه الدلالي لورود لفظ الحبل في الآية الكريمة هو أن أهل الكفر أهل مذلة ومهانة وخوف وصغار في كل زمتن ومكان، ولن يكونوا في العكس من تلك المعاني إلا بحبلٍ من الله، أي بسبب منه، أو بسبب من المؤمنين بأنَّ إذا عاهدوهم على الأمان،

---

27 Al-Ṭabarī, Abū Ja'far Muḥammad bin Jarīr (2000). *Jāmi' Al-Bayān fī Ta'wīl Al-Qur'ān* (Aḥmad Muḥammad Shākir, Ed.). (Vol. 7). Ṭab'ah Mu'assasah Al-Risālah, p. 70-71.

28 Al-Māwardī, Abū Al-Ḥasan 'Alī bin Muḥammad (n.d.). *Al-Nakt wa Al-'Uyūn* (Al-Sayyid Ibn 'Abd Al-Maqṣūd bin 'Abd Al-Raḥīm, Ed.). (Vol. 1). Ṭab'ah Dār Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, p. 414.

29 Al-Ṭabarī (2000). (Vol. 7), p. 111.

وهذا ما أكده مهدي بن طالب[30]. ويمكن أن يشمل المعنى الدلالي هو تركنا التمسك بشرع الله، ومولاة المؤمنين لهم حتى صار زمام المرحلة بأيديهم، وصار لهم جولة ومكانة؛ وهذا يندرج تحت معنى حبل الله وحب المسلمين المتهاونين بأمر الله وشرعه.

الآية الثالثة: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[31]. قال الفراء الوريد: عِرْقٌ بين الحُلْقوم والعِلْباوَيْن. قال: عرق بين اللَّبَّة والعِلْباوَيْن"[32]. وقال الزجاج –رحمه الله–: "الوريد: عِرْق في باطن العُنُق، وهما وريدان "[33]. وقال البغوي –رحمه الله–: "وَالْحَبْلُ هُوَ الْوَرِيدُ، فَأُضِيفَ إِلَى نَفْسِهِ لِاخْتِلَافِ اللَّفْظَيْنِ"[34].

الوجه الدلالي للفظ حبل المذكور في الآية، الإضافة هنا بيانية كماهو معلوم من معاني الإضافة في دروس النحو، بمعنى أن حبل الوريد هنا يقصد به العرق الذي يسري فيه الدم؛ والدلالة المستوحاة هي أن الله أقرب علماً وحالاً بالإنسان أكثر من قرب من حبل الوريد الذي يسري فيه الدم.

الآية الرابعة: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾[35]. ذكر ابن الجوزي رحمه الله أن المفسرين اختلفوا في المرادِ بِهَذا الحَبْلِ عَلى ثَلاثَةِ أقْوالٍ: الأول: أنَّها حِبالٌ كانَتْ تَكُونُ

---

30 Makkī bin Abī Ṭālib, Abū Muḥammad (2008). *Al-Hidāyah ilā Bulūgh Al-Nihāyah fī ʻIlm Maʻānī Al-Qurʼān wa Tafsīrihi wa Aḥkāmihi wa Jumal min Funūn ʻUlūmihi* (Majmūʻah Rasāʼil Jāmiʻiyyah bi Kulliyyah Al-Dirāsāt Al-ʻUlyā wa Al-Baḥth Al-ʻIlmī, Eds.). (Vol. 2). Majmūʻah Rasāʼil Jāmiʻiyyah Buḥūth Al-Kitāb wa Al-Sunnah, Kulliyyah Al-Sharīʻah wa Al-Dirāsāt Al-Islāmiyyah, Jāmiʻah Al-Shāriqah, p. 1096.

31 Sūrah Qāf: 16.

32 Al-Farrāʼ, Abū Zakariyyā Yaḥyā bin Ziyād (n.d.). *Maʻānī Al-Qurʼān* (Aḥmad Yūsuf Al-Najātī, Muḥammad ʻAlī Al-Najār & ʻAbd Al-Fattāḥ Ismāʻīl Al-Shalabī, Eds.). (Vol. 3). Ṭabʻah Dār Al-Kutub Al-Miṣriyyah, p. 76.

33 Al-Zujāj, Abū Isḥāq Ibrāhīm bin Al-Sirrī (1988). *Maʻānī Al-Qurʼān wa Iʻrābuhu* (ʻAbd Al-Jalīl ʻAbduhu Shalabī, Ed.). (Vol. 5). Ṭabʻah ʻĀlim Al-Kutub, p. 43.

34 Al-Baghawī, Abū Muḥammad Al-Ḥusayn bin Masʻūd (1997). *Maʻālim Al-Tanzīl* (Muḥammad ʻAbd Allāh Al-Namr, ʻUthmān Jumʻah Ḍamīriyyah & Sulaymān Muslim Al-Ḥarsh, Eds.). (Vol. 7). Ṭabʻah Dār Ṭayyibah li Al-Nashr wa Al-Tawzīʻ, p. 358.

35 Sūrah Al-Masad: 5.

بِمَكَّةَ، رَواهُ العَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ. وقالَ الضَّحّاكُ: حَبَلٌ مِن شَجَرٍ كانَتْ تَحْتَطِبُ بِهِ. الثّانِي: أنَّهُ قِلادَةٌ مَن ودَعٍ، قالَهُ قَتادَةُ. الثّالِثُ: أنَّهُ سِلْسِلَةٌ مِن حَدِيدٍ ذَرْعُها سَبْعُونَ ذِراعًا، قالَهُ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ. وقالَ غَيْرُهُ: المُرادُ بِهَذا الحَبْلِ: السِّلْسِلَةُ الَّتِي ذَكَرَها اللَّهُ تَعالى في النّارِ، طُولُها سَبْعُونَ ذِراعًا. والمَعْنى: أنَّ تِلْكَ السِّلْسِلَةَ قَدْ فُتِلَتْ فَتْلًا مُحْكَمًا، فَهِيَ في عُنُقِها تُعَذَّبُ بِها في النّار"[36].

والوجه الدلالي للفظ حبل في الآية هو وصف حال الذل والخزي والمهانة التي ستمنى بها امرأة أبي لهب؛ إذ أن مصيرها النار، وزيادة في إهانتها في ذلك المصير أن تربط في عنقها بحبلٍ شديد الفتل، فتزداد عذاباً وإهانة إلى فوق ماهي عليه من عذاب ومذلة.

ثانياً: كلام المفسرين في آيات السبب

الآية الأولى: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾[37]، قال ابن جرير: "ما يتسبب إليه وهو العلم به"[38]، فهو يرى أن السبب في هذه الآية هو العلم، ولم يذكر قولًا آخر في معنى الآية، إلا إنَّ الإمام البغوي بيَّن وجه ارتباط معنى السبب مع العلم فقال: "علماً يتسبَّب به إلى كل ما يريد، ويسير به في أقطار الأرض، وذكر قولاً بصيغة التمريض، وقيل: قربنا إليه أقطار الأرض"[39]، وقال الحافظ ابن كثير –رحمه الله–: " ... وهكذا ذو القرنين، يسر الله له الأسباب، أي: الطرق والوسائل إلى فتح الأقاليم والرساتيق والبلاد والأرض، وكسر الأعداء، وكبت ملوك الأرض، وإذلال أهل الشرك، قد أوتي من كل شيء مما

36 Ibn al-Jawzī, Abū Al-Farj ʻAbd Al-Raḥmān bin ʻAlī (2001). *Zād al-Masīr fī ʻIlm Al-Tafsīr* (ʻAbd Al-Razzāq Al-Mahdī, Ed.). (Vol. 4). Maṭbaʻah Dār Al-Kitāb Al-ʻArabī, p. 504.

37 Sūrah Al-Kahf: 84.

38 Al-Ṭabarī (2000). (Vol. 18), p. 93-94.

39 Al-Baghawī (1997). (Vol. 3), p. 212.

يحتاج إلى مثله سبباً، والله أعلم"[40].

وأرجع القرطبي –رحمه الله– السبب إلى معناها اللغوي وهو الحبل، فقال رحمه الله: "وأصل السبب الحبل فاستعير لكل ما يتوصل به إلى شيء"[41]. وذكر ابن عاشور –رحمه الله– نفس المعنى فقال: "والسبب حقيقته: الحبل، وأطلق هنا على ما يتوسل به إلى الشيء من علم أو مقدرة أو آلات التسخير على وجه الاستعارة[42].

الوجه الدلالي لكلمة سبب في الآية السابقة هو صلاحيتها لأي وسيلة تحقق الغاية والهدف؛ إذ أن النفوذ والسلطان على الشيء والتمكين عليه يحتاج إلى وسائل متعددة ومختلفة تتظافر في تحقيق المقصود، ومن تلك الوسائل آلات السير، وكثرة الجنود، والقدرة على التطور والتقدم العمراني.

الآية الثانية: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾[43] قال ابن جرير: "أخبرنا الله عن مسير ذي القرنين في الأرض التي مكن له فيها، لا عن لحاقه السبب"[44]، وذُكر أن السبب هنا يقصد به طريقاً ما بين المشرق والمغرب، وكثير من أهل التفسير قالوا اتبع منازل الأرض ومعالمها[45]. وقال ابن عاشور أنه هو الوسيلة، وهو معنى مجازي، ويختلف عن معناه الذي في قوله تعالى ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾، والمعنى المجازي يقصد به الطريق؛ لأن الطريق وسيلة إلى المكان المقصود، وقرينة المجاز ذكر الاتباع والبلوغ في قوله: (﴿فاتبع سبباً حتى إذا بلغ مغرب الشمس﴾. والدليل على إرادة غير معنى السبب في قوله تعالى ﴿وآتيناه من كل

---

40 Ibn Kathīr, Abū Al-Fidā' Ismā'īl bin 'Umar (1999). *Tafsīr Al-Qur'ān Al-Karīm* (Sāmī bin Muḥammad Salāmah, Ed.). (Vol. 5). Ṭab'ah Dār Ṭayyibah li Al-Nashr wa Al-Tawzī', p. 190.

41 Al-Qurṭubī, Abū 'Abd Allāh Muḥammad bin Aḥmad (1964). *Al-Jāmi' li Aḥkām Al-Qur'ān* (Aḥmad Al-Bardūnī & Ibrāhīm Aṭfīsh, Eds.). (Vol. 11). Ṭab'ah Dār Al-Kutub Al-Miṣriyyah, p. 48.

42 Ibn Āshūr, Muḥammad Al-Ṭāhir bin Muḥammad (1984). *Taḥrīr Al-Ma'nā Al-Sadīd wa Tanwīr Al-'Aql Al-Jadīd min Tafsīr Al-Kitāb Al-Majīd*. (Vol. 16). Ṭab'ah Al-Dār Al-Tūnisiyyah, p. 25.

43 Sūrah Al-Kahf: 85.

44 Al-Ṭabarī (2000). (Vol. 18), pp. 93-94.

45 Al-Ṭabarī (2000). (Vol. 18), p. 95.

شيء سببا﴾ إظهار اسم السبب دون إضماره؛ لأنه لما أريد به معنى غير ما أريد بالأول حسن إظهار اسمه؛ تنبيها على اختلاف المعنيين، أي فاتبع طريقاً للسير، وكان سيره للغزو، كما دل عليه قوله ﴿حتى إذا بلغ مغرب الشمس﴾. ولم يعد أهل اللغة معنى الطريق في معاني لفظ السبب؛ لعلهم رأوه لم يكثر وينتشر في الكلام. ويظهر أن قوله تعالى ﴿أسباب السماوات﴾[46].

الوجه الدلالي لكلمة سبب هنا، صلاحية الكلمة لمعانيها المتعددة كونها نكرة، إلا أنَّ التعدد على سبيل البدل لا الجمع الكلي، ومن ثمَّ فإن ما يقصد به هو المعنى المجازي الذي ذكره ابن عاشور، بل القرآن ذاته تولى بيان المقصود منه من خلال التفسير بالبيان المتصل كما دلت عليه الآية التي بعدها.

وبما أن الطريق هي الأوجه الأقرب في التفسير لكلمة سبب، إلا أن كلمة سبب لها معنى دلالي أوسع من كلمة طريق، فقد يتم وصوله إلى منتهى غروب الشمس عبر وسيلة أخرى كالريح غير الطريق.

الآية الثالثة: ﴿من كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾.[47] ذكر الطبري أن الله تعالى قصد قومًا يعبدونه على حرف، وأنهم يطمئنون بالدين إن أصابوا خيراً، ويرتدّون عن دينهم لشدّة تصيبهم؛ فأتبع (سبب) توبيخاً لهم على ارتدادهم عن الدين؛ استبطاءً منهم السعة في العيش وكثرة الرزق؛ ومن ثم من كان يحسب أن لن يرزق الله محمداً -ﷺ- وأمته في الدنيا، فيوسع عليهم من فضله فيها، ويرزقهم في الآخرة من سَني عطاياه وكرامته، استبطاء منه فعل الله ذلك به وبهم، فليمدد بحبل إلى سماء فوقه: إما سقف بيت، أو غيره مما يعلق به السبب من فوقه، ثم يختنق إذا اغتاظ من بعض ما قضى الله، فاستعجل انكشاف ذلك عنه، فلينظر هل يذهبنّ كيده اختناقه كذلك ما يغيظ، فإن لم يذهب

---

46 Ibn Āshūr, Muḥammad Al-Ṭāhir bin Muḥammad (1984). (Vol. 16), p. 25.

47 Sūrah Al-Ḥajj: 15.

ذلك غيظه؛ حتى يأتي الله بالفرج من عنده فيذهبه، فكذلك استعجاله نصر الله محمداً ودينه لن يُؤَخِّر ما قضى الله له من ذلك عن ميقاته، ولا يعجِّل قبل حينه"[48]. وقال ابن كثير: من كان يظن أن الله ليس بناصر محمداً -ﷺ-وكتابه ودينه، فليمدد بحبل إلى سماء بيته ويقتل نفسه إن كان ذلك غائظه، فإن الله ناصره لا محالة[49].

الوجه الدلالي لكلمة سبب هنا، هو أنَّ السياق في المعنى المقصود من السبب هو الحبل، وتنزيلها على هذا المعنى يتناسب مع حال من اغتاظت نفسه وأراد أن يريح نفسه من هذا الغيظ؛ فليعمد إلى حبلٍ معلقٍ في سقف بيته، ويخنق نفسه به؛ فإنه أسرع في خروج روحه؛ ومع هذا فإن الله ناصر دينه ونبيه.

الآية الرابعة: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾[50]. ذكر ابن جرير الطبري في تفسيرها عدة أقوال، يبينها الباحث في الآتي[51]:

القول الأول: الوصال الذي كان بينهم في الدنيا، والمودة، وأسباب المواصلة التي يتواصلون بها، ويتحابُّون بها، فصارت عليهم عداوةً يوم القيامة، حتى أنهم يكفر بعضهم ببعض، ويلعن بعضهم بعضًا، ويتبرأ بعضهم من بعض.

القول الثاني: المنازل التي كانت لهم من أهل الدنيا.

القول الثالث: "الأسباب"، الأرحام.

القول الرابع: "الأسباب"، الأعمال التي كانوا يعملونها في الدنيا، وهو مروي عن السدي وابن زيد.

ثم رجح ابن جرير رحمه الله أن الأسباب في هذه الآية تشمل المعاني المذكورة جميعها، حيث قال: الأسباب جمع سبب، والسبب كل ما يتوصل به إلى حاجته؛ فالطريق سبب، والحبل سبب، والمصاهرة سبب، وكل هذه المعاني أسباب يتسبب في

48 Al-Ṭabarī (2000). (Vol. 18), p. 583.
49 Ibn Kathīr, Abū Al-Fidā' Ismā'īl bin 'Umar (1999). (Vol 5), p. 402.
50 Sūrah Al-Baqarah: 166.
51 Al-Ṭabarī (2000). (Vol. 3), pp. 289-293.

الدنيا بها إلى مطالب، فقطع الله منافعها في الآخرة عن الكافرين؛ لأنها كانت بخلاف طاعته ورضاه، فهي منقطعة بأهلها[52].

والوجه الدلالي للفظ الأسباب كونه من ألفاظ الجموع محلَّى بأل التعريف؛ مما يعني أنه يندرج تحتها كل معنى كان يتوسل أو يظن به الكافرون بأنه ينقذهم من عذاب الله، أو يدفع عنهم غضبه ومقته؛ وهذا ما رجحه أبو حيان حيث قال: "والظاهر دخول الجميع في الأسباب؛ لأنه لفظ عام"[53].

الآية الخامسة: ﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۖ فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾[54].

قال ابن قتيبة الدينوري رحمه الله: " أي في أبواب السماء، أو الحبال إلى السماء"[55].

وذكر الماوردي –رحمه الله– في معنى قوله تعالى: {فليرتقوا في الأسباب} أربعة أقوال: في السماء، في الفضل والدين، في طرق السماء وأبوابها، فليعلوا في أسباب القوة إن ظنوا أنها مانعة[56]. ويرى ابن جرير الطبري –رحمه الله– أن أصل السبب كل ما تسبب به إلى الوصول إلى المطلوب من حبل أو وسيلة، أو رحم، أو قرابة أو طريق، أو محجة وغير ذلك."[57]؛ مما يعني أنه جعله من ألفاظ العموم.

وقال السمعاني رحمه الله: "الْأَسْبَاب هُوَ التَّوَصُّل من شَيْء إِلَى شَيْء حَتَّى يبلغ أَعْلَاهُ، وَالْمرَاد من الْآيَة إِثْبَات عجزهم، وَإِبْطَال زعمهم فِيمَا ادعوهُ من المنعة وَالْقُوَّة"[58].

وقال ابن جرير رحمه الله: "لعلي أبلغ من أسباب السموات أسباباً أتسبب بها إلى

---

52 Al-Ṭabarī (2000). (Vol. 3), pp. 289-293.

53 Abū Ḥayyān, Muḥammad bin Yūsuf (1999). *Al-Baḥr Al-Muḥīṭ fī Al-Tafsīr* (Sidqī Muḥammad Jamīl, Ed.). (Vol. 2). Ṭab'ah Dār Al-Fikr, p. 92.

54 Sūrah Ṣād: 10.

55 Ibn Qutaybah, Abū Muḥammad 'Abd Allāh bin Muslim (n.d.). *Ta'wīl Muskhil Al-Qur'ān* (Ibrāhīm Shams Al-Dīn, Ed.). Ṭab'ah Dār Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, p. 209.

56 Al-Māwardī, Abū Al-Ḥasan 'Alī bin Muḥammad (n.d.). (Vol. 5), p. 79.

57 Al-Ṭabarī (2000). (Vol. 21), p. 157.

58 Al-Sam'ānī, Abū Al-Muẓfar Manṣūr bin Muḥammad (1997). *Tafsīr Al-Qur'ān* (Yāsir bin Ibrāhīm & Ghanīm bin 'Abbās bin Ghanīm, Eds.). (Vol. 2). Ṭab'ah Dār Al-Waṭn, p. 228.

رؤية إله موسى، طرقاً كانت تلك الأسباب، أو أبواباً، أو منازل، أو غير ذلك "[59]. وذكر أن تكرار أسباب تفخيماً؛ لأن الشيء إذا أبهم ثم أوضح كان تفخيماً لشأنه. والله أعلم." [60].

الوجه الدلالي لكلمة الأسباب هنا، أنَّ دعوى الملك للشيء لا يقوم إلا على حجة وبرهان؛ ومن ثمَّ إن كان لأهل الشرك دعوى ملك السموات والأرض فليرتقوا في الأسباب، أي يثبتوا ويبينوا الحجج والبراهين، وجاءت بصيغة الجمع ولفظ العموم إتاحة وفرصة لهم في عرض ما لديهم.

رابعاً: أوجه الاتفاق والاختلاف بين الحبل والسبب

لا شك ولا ريب بأن المعاني التي أوردها الباحث في تفسير الحبل والسبب في الآيات السابقة تؤكد أنَّ بينهما عموم وخصوص، حيث يلتقيان في البعض ويفترقان في معانٍ أخرى، وهنا يشير الباحث إلى أوجه العلاقة بين اللفظين، وأوجه الافتراق بينهما في الآتي:

أولاً: أوجه الاتفاق بين الحبل والسبب

بعد عرض أقوال المفسرين في الآيات الواردة في الحبل والسبب في القرآن الكريم، يتبين أن بين الحبل والسبب أوجه اتفاق يلخصها الباحث في الآتي:

1- أن كلًّا من الحبل والسبب يطلق ويراد به ما يتوصل به إلى الشيء المقصود، وأشار لذلك القرطبي -رحمه الله- بقوله: "وأصل السبب الحبل فاستعير لكل ما يتوصل به إلى شي"[61].

2- أن كلًّا من الحبل والسبب يطلق على الأشياء الحسية والأمور المعنوية، كما يظهر

---

59 Al-Ṭabarī (2000). (Vol. 21), p. 386.

60 Al-Qurṭubī (1964). (Vol. 15), p. 314.

61 Al-Qurṭubī (1964). (Vol. 11), p. 48.

ذلك من المعاني اللغوية، وكلام المفسرين المتقدم.

ثانياً: أوجه الافتراق بين الحبل والسبب

من خلال ما تم استعراضه من المعاني اللغوية وأقوال ذوي الاختصاص من أهل التفسير نجد أن الحبل والسبب بينمها أوجه افتراق، يلخصها الباحث في الآتي:

1- الأصل في الحبل أنه يطلق على الأمور المحسوسة، ثم أطلق على المعاني من باب المجاز، كما قال السمين الحلبي رحمه الله: "الحَبْلُ في الأصل هو السبَبُ، وكلُّ ما وصلك إلى شيء فهو حَبْل، وأَصلُه في الأجرام، واستعمالُه في المعاني من باب المجاز"[62]، بينما السبب فهو في الأصل يطلق على الحبل، ثم يستعار لكل ما يوصلك إلى غايتك، كما قال السمين الحلبي –رحمه الله–: "السبب في الأصل الحَبْلُ، ثم أُطلقَ على كلِّ ما يُتَوصَّل به إلى شيء: عيناً كان أو معنىً"[63].

2- السبب تعلق بمعانٍ في القرآن لم تُذكر في الحبل؛ كالقرابة والمودة، أو الطريق أو وسيلة للحكم، كما حصل لذي القرنين، كما تقدم.

3- الحبل يطلق في القرآن لبعض المعاني ولا تطلق على السبب، كدين الله، والشريان الذي في العنق.

4- أن السبب الشرعي هو ما يلزم من وجوده الوجود وبعدمه العدم، أما الحبل فقد يُتوصل به وبغيره.

---

62 Al-Samīn al-Ḥalabī, Abū Al-'Abbās Aḥmad bin Yūsuf (n.d.). *Al-Durr al-Maṣūn fī 'Ūlūm Al-Maknūn* (Aḥmad Muḥammad Al-Kharāṭ, Ed.). (Vol. 3). Dār Al-Qalam, p. 332.

63 Al-Samīn al-Ḥalabī, Abū Al-'Abbās Aḥmad bin Yūsuf (n.d.). *Al-Durr al-Maṣūn fī 'Ūlūm Al-Maknūn* (Aḥmad Muḥammad Al-Kharāṭ, Ed.). (Vol. 2). Dār Al-Qalam, p. 218.

4. الخاتمــة:

أولاً: النتائج

1- جاء الحبل لمعنيين حسي ومعنوي، تتمثل معانيه الحسية في الحبل المعروف، وحبل العاتق، وتتمثل معانيه المعنوية في امتداد الشيء، العهد والأمان، المواصلة أو التواصل. بينما معاني السبب فهي تتمثل في الحَبْل، وكُلُّ ما تَسَبَّبْتَ به من رَحِمٍ أو يَدٍ أو دَيْنٍ، والقرابة والوُصّل والمودَّات، وطُرُق السَّماء وأبْوابها.

2- لا يختلف الحبل عن السبب في التعريف الإصلاحي؛ إذ عرفا بكلِّ شيءٍ يتوصل به إلى غيره؛ مما يعني بأن استخدامهما في الشرع لا يختلفان كثيراً عن معانيهما اللغوية.

3- ورد لفظ حبل مفرداً في القرآن الكريم في أربعة مواضع: في سورة آل عمران آيتي (103)، (112)، وفي سورة ق آية (16)، وفي سورة المسد آية (5). وورد بلفظ الجمع حبال في موضعين: في سورة طه آية (66)، وفي سورة الشعراء آية (44).

4- ورد لفظ سبب مفرداً في القرآن في خمسة مواضع: في سورة الكهف آيات (84، 85، 89، 92)، وفي سورة الحج آية (15). وورد بلفظ الجمع أسباب في أربعة مواضع: سورة البقرة آية (166)، سورة ص آية 10، وسورة غافر آيتي (36)، (37).

5- لم تختلف أقوال المفسرين للفظتي حبل وسبب عن المعاني اللغوية التي ساقها التي ذكرت في النتيجة الأولى، إلا أن أوجه الدلالة لكل لفظ سواءً ورد بلفظ الإفراد أو الجمع تختلف على حسب سياق الآيات والسور.

6- يتفق لفظا الحبل والسبب في كل شيءٍ يتوصل به إلى الشيء المقصود سواءً كان حسياً أو معنوياً.

7- يختلف لفظا الحبل والسبب أن الأصل في الحبل السبب، وأَصلُه في الأجرام، واستعمالُه في المعاني من باب المجاز، بينما السبب فهو في الأصل يطلق على الحبل، ثم يستعار لكل ما يوصلك إلى غايتك. بالمقابل يتعلق السبب بمعانٍ في القرآن لم تُذكر في الحبل؛ كالقرابة والمودة، أو الطريق أو وسيلة للحكم، ويرد الحبل في القرآن لبعض المعاني لا تطلق على السبب، كدين الله، والشريان الذي في العنق.

ثانياً: التوصيات

1- الاعتناء بمفردات القرآن الكريم وتحقيق المعنى المراد في أماكن ورودها.

2- استخراج الدرر الكامنة من بطون كتب التفسير التي تذكر في غير مظانها.

3- الاعتناء بالجمع بين التفسير التحليلية والموضوعية الدلالية.

وفي ختام هذا البحث فإني أسأل الله العلي الكريم أن يجعل ما كتبناه ونقلناه في موازين أعمالنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

REFERENCES

Abū Ḥayyān, Muḥammad bin Yūsuf (1999). *Al-Baḥr Al-Muḥīṭ fī Al-Tafsīr* (Sidqī Muḥammad Jamīl, Ed.). Ṭabʿah Dār Al-Fikr.

Al-Azharī, Abū Manṣūr Muḥammad bin Aḥmad (2001). *Tahdhīb Al-Lughah* (Muḥammad ʿAwḍ Murʿab, Ed.). Ṭabʿah Dār Iḥyāʾ Al-Turāth Al-ʿArabī.

Al-Baghawī, Abū Muḥammad Al-Ḥusayn bin Masʿūd (1997). *Maʿālim Al-Tanzīl* (Muḥammad ʿAbd Allāh Al-Namr, ʿUthmān Jumʿah Ḍamīriyyah & Sulaymān Muslim Al-Ḥarsh, Eds.). Ṭabʿah Dār Ṭayyibah li Al-Nashr wa Al-Tawzīʿ.

Al-Farāhīdī, Abū ʿAbd Al-Raḥmān Al-Khalīl bin Aḥmad (n.d.). *Al-ʿAyn* (Mahdī Al-Makhzūmī & Ibrāhīm Al-Sāmarāʾī, Eds.). Ṭabʿah Dār wa Maktabah Al-Ḥilāl.

Al-Farrā', Abū Zakariyyā Yaḥyā bin Ziyād (n.d.). *Maʿānī Al-Qur'ān* (Aḥmad Yūsuf Al-Najātī, Muḥammad ʿAlī Al-Najār & ʿAbd Al-Fattāḥ Ismāʿīl Al-Shalabī, Eds.). Ṭabʿah Dār Al-Kutub Al-Miṣriyyah.

Ibn Al-Athīr, Abū Al-Saʿadāt Al-Mubārak bin Muḥammad (1979). *Al-Nihāyah fī Gharīb Al-Ḥadīth wa Al-Athar* (Ṭāhir Aḥmad Al-Rāzī & Maḥmūd Muḥammad Al-Ṭanāḥī, Eds.). Al-Maktabah al-ʿIlmiyyah.

Ibn al-Jawzī, Abū Al-Farj ʿAbd Al-Raḥmān bin ʿAlī (2001). *Zād al-Masīr fī ʿIlm Al-Tafsīr* (ʿAbd Al-Razzāq Al-Mahdī, Ed.). Maṭbaʿah Dār Al-Kitāb Al-ʿArabī.

Ibn Āshūr, Muḥammad Al-Ṭāhir bin Muḥammad (1984). *Taḥrīr Al-Maʿnā Al-Sadīd wa Tanwīr Al-ʿAql Al-Jadīd min Tafsīr Al-Kitāb Al-Majīd*. Ṭabʿah Al-Dār Al-Tūnisiyyah.

Ibn Fāris, Abū Al-Ḥusayn Aḥmad bin Fāris (1979). *Muʿjam Maqāyīs Al-Lughah* (ʿAbd Al-Salām Muḥammad Harūn, Ed.). Ṭabʿah Dār Al-Fikr.

Ibn Kathīr, Abū Al-Fidā' Ismāʿīl bin ʿUmar (1999). *Tafsīr Al-Qur'ān Al-Karīm* (Sāmī bin Muḥammad Salāmah, Ed.). Ṭabʿah Dār Ṭayyibah li Al-Nashr wa Al-Tawzī ʿ.

Ibn Qutaybah, Abū Muḥammad ʿAbd Allāh bin Muslim (n.d.). *Ta'wīl Muskhil Al-Qur'ān* (Ibrāhīm Shams Al-Dīn, Ed.). Ṭabʿah Dār Al-Kutub Al-ʿIlmiyyah.

Al-Jawharī, Abū Naṣr Ismāʿīl bin Ḥammād (1987). *Al-Ṣiḥāḥ Tāj Al-Lughah wa Ṣiḥāḥ Al-ʿArabiyyah* (Aḥmad ʿAbd Al-Ghafūr ʿAṭār, Ed.). Ṭabʿah Dār Al-ʿIlm li Al-Malāyīn.

Makkī bin Abī Ṭālib, Abū Muḥammad (2008). *Al-Hidāyah ilā Bulūgh Al-Nihāyah fī ʿIlm Maʿānī Al-Qur'ān wa Tafsīrihi wa Aḥkāmihi wa Jumal min Funūn ʿUlūmihi* (Majmūʿah Rasā'il Jāmiʿiyyah bi Kulliyyah Al-Dirāsāt Al-ʿUlyā wa Al-Baḥth Al-ʿIlmī, Eds.). Majmūʿah Rasā'il Jāmiʿiyyah Buḥūth Al-Kitāb wa Al-Sunnah, Kulliyyah Al-Sharīʿah wa Al-Dirāsāt Al-Islāmiyyah, Jāmiʿah Al-Shāriqah.

Al-Māwardī, Abū Al-Ḥasan ʿAlī bin Muḥammad (n.d.). *Al-Nakt wa Al-ʿUyūn* (Al-Sayyid Ibn ʿAbd Al-Maqṣūd bin ʿAbd Al-Raḥīm, Ed.). Ṭabʿah Dār Al-Kutub Al-ʿIlmiyyah.

Muḥammad Fu'ād ʿAbd Al-Bāqī (1945). *Al-Muʿjam Al-Muhafras li Al-Fāẓ Al-Qur'ān Al-Karīm*. Ṭabʿah Dār Al-Ḥadīth.

Al-Qurṭubī, Abū ʿAbd Allāh Muḥammad bin Aḥmad (1964). *Al-Jāmiʿ li Aḥkām Al-Qur'ān* (Aḥmad Al-Bardūnī & Ibrāhīm Aṭfish, Eds.). Ṭabʿah Dār Al-Kutub Al-Miṣriyyah.

Al-Rāghib Al-Aṣfahānī, Abū Al-Qāsim Al-Ḥusayn bin Muḥammad (1991). *Al-Mufradāt fī Gharīb Al-Qur'ān* (Ṣafwān ʿAdnān Al-Ḍāwadī, Ed.). Ṭabʿah Dār Al-Qalam.

Al-Samʿānī, Abū Al-Muẓfar Manṣūr bin Muḥammad (1997). *Tafsīr Al-Qur'ān* (Yāsir bin Ibrāhīm & Ghanīm bin ʿAbbās bin Ghanīm, Eds.). Ṭabʿah Dār Al-Waṭn.

Al-Samīn al-Ḥalabī, Abū Al-ʿAbbās Aḥmad bin Yūsuf (n.d.). *Al-Durr al-Maṣūn fī ʿŪlūm Al-Maknūn* (Aḥmad Muḥammad Al-Kharāṭ, Ed.). Dār Al-Qalam.

Al-Ṭabarī, Abū Jaʿfar Muḥammad bin Jarīr (2000). *Jāmiʿ Al-Bayān fī Ta'wīl Al-Qur'ān* (Aḥmad Muḥammad Shākir, Ed.). Ṭabʿah Mu'assasah Al-Risālah.

Al-Zujāj, Abū Isḥāq Ibrāhīm bin Al-Sirrī (1988). *Maʿānī Al-Qur'ān wa Iʿrābuhu* (ʿAbd Al-Jalīl ʿAbduhu Shalabī, Ed.). Ṭabʿah ʿĀlim Al-Kutub.